الصورة الشعرية في شعر مطيع بن إياس

The poetic image in the poetry of mutee Ibn Iyas

أ.م.د. ميادة حسين رشيد

Assist Prof Dr. Mayada Hussein Rashid

استلام البحث: ٢٠٢٥/٨/١٣م

نشر البحث: ٢٠٢٥/٩/٣٠م

١٤٤٧هـ ٢٠٢٥م

الملخص

الصورة الشعرية هي أداة أدبية أساسية في الشعر وعملية تفاعل متبادل بين الشاعر و المتلقي إذ يعبر الشاعر عن أفكاره باستعمال اللغة الشعرية والتي لا تقتصر على التصوير البصري – بـــل تشـــمل جميع الحواس (البصر، السمع، الشم، اللمس، التذوق) لتعزيز المعنى وإثارة المشاعر وتقديم تجربة حسية غنية للقارئ والصورة الشعرية عنصراً اسياسياً في بناء القصيدة الى جانب الإيقاع والعناصـــر الاخـــرى التي تساهم في جمالية النص الشعري وتأثيره وتساعد الصور الشعرية في التعبير عن الأفكـــار بطريقـــة غير مباشرة عن طريق استعمال الرموز والاستعارات.

الكلمات المفتاحية: الصورة الشعرية، مطيع بن إياس، الاستعارة، التشبيه.

Abstract

The poetic image is a basic literary tool in poetry and a process of mutual interaction between the poet and the recipient, as the poet expresses his ideas using poetic language, which is not limited to visual imagery - but rather includes all the senses (sight, hearing, smell, touch, taste) in order to enhance the meaning, arouse emotions, and provide a rich sensory experience for the reader. The poetic image is a basic element in constructing the poem, along with rhythm and other elements that contribute to the beauty and impact of the poetic text. Poetic images help express ideas indirectly through the use of symbols and metaphors.

الصورة مفهوماً وتقديماً

تعد الصورة معيارًا نقديًا وميزاناً تزن به أشعار الشعواء وتفاضل بينهم على وفق جودتها وقياس الشاعرية وحسن الصياغة وطرائق التعبير لذلك تخلص إلىٰ معرفة المتكلف والمعقد والمستحسن والمناسب والمتناسب وغيرها من معايير الجودة فالصورة الشعرية هي تصوير للقصيدة وفق أطر ملونة لافتة تشد المتأمل إليها – إذ يرى الجاحظ أن الصورة من مقومات الشعر ولا يستقيم الشعر دونها ففي قوله (و إنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير)) [١] والصورة رسم يتخذ منه الشاعر الألفاظ وسيلة لهيكلة صورته وألوانها وحدودها.

وكذلك ذكر الجرجاني قوله: ((ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه))[٢].

أي أننا نأخذ الصورة الشعرية ناظرين في انزياحها اللغوي الذي جعل منها صورة شعرية ليفتح بعد ذلك تعالقها النصي والدلالي مع فكرتها فالصورة أهم وسائط نقل الشاعر لتجربته والتعبير عن واقعه – إذ يرى القرطاجني أهمية الصورة ((من حيث كونها تعبيرا عن الإدراك بصورة حية تقوي دلالة الألفاظ فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة على الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في إفهام السامعين وأذهانهم فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ))[٣].

فالصورة الشعرية بعناصرها ومادتها وباعثها هي المرتكز الأساس الذي تعتمد عليه هذه الدراسة كونها سمة من سمات العمل الأدبي وعن طريقها يمكن فهم النص بعدها وسيلة لتنظيم التحليل والكشف عن الحالة الشعرية التي انتهجها الشاعر ورغب في إيصالها إلى المتلقي وبذلك تكون للصورة وظيفة.

---

(١) الحيوان أبو عمر عثمان بن بحر الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون مكتبة مصطفى البابي الحلبي مصر ١٩٦٦ م ٣/١٣٢.

(٢) دلائل الاعجاز للأمام ابي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي قراءه وعلق عليها محمود محمد شاكر، مكتبه الخناجي – القاهرة (د.ط) د.ت) ٢٥٤.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الادباء، لابي الحسن حازم القرطباني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط٢:١٨

فهي ((الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة في معناها الجزئي والكلي)) [١] إذ يصوغها الأديب وينظمها على شكل معين، فدراسة الصورة على أساس أنها ركيزة اساسية من ركائز العمل الأدبي.

إن الألوان والفنون الأبرز في الصورة الشعرية هي التشبيه، والمجاز، والاستعارة.

((وهذه الصور الخيالية تخلق الاتزان اللطيف في ثنايا العمل الشعري وتضفي عليه وشاحا من الجمال والرونق إذا استخدمت استخداماً طبيعياً لا أثر للتكلف فيه وإذا ابتعدت عن الإغراق في التخيل والتشبيه فيما وراء الطبيعية))[٢] .

والصورة في اللغة ((اسم وهي الشكل أو الهيئة والجمع صور أو هي ما هيته المجردة أو خياله في الذهن أو العقل والمصور اسم من اسماء الله الحسنى))[٣].

((و الصورة: ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته))[٤] .

أمّا في الاصطلاح فهي ((التعبير عن المعنى المقصود بطرق مختلفة فالصورة البيانية هي التعبير عن المعنى المقصود بطريقة التشبيه أو الاستعارة أو المجاز أو تجسيد المعاني والصورة الحسية وهي توظف ألفاظاً دالة على الحواس الخمسة البصر والسمع والشم والذوق واللمس ممزوجة بالخيال من أجل تأدية المعنى، والصورة الرمزية هي استعمال الشاعر للإيحاء والتلميح برموزه المنبثقة من الصورة الحسية)) والصورة الذهنية نتاج الصور السابقة وجميعها تعمل على ايصال المتعة للقارئ عن طريق الصورة الشعرية [٥] . لذلك كانت وسيلة الأديب الأولى التي يستعين بها في صياغة تجربته الإبداعية وهي إحدى المكونات الأصلية الأساسية للعمل الشعري.

---

(١) النقد الأدبي الحديث، محمد غيني هلال، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٧ م، ٢٤٢.

(٢) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مصطفى عبد اللطيف السحرتي، مطبعة المقتطف (د.ط) ١٩٤٨م.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت ١٩٨٦م، ٤/٢٧٣.

(٤) المصدر نفسه: ٤٧٣.

(٥) الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني دراسة في أصولها وتطورها علي البطل دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط ١٩٨٠، ١م: ٥٦.

وقد أظهرت الدراسات النقدية أن العمل الأدبي ينبع من مجموعة مصادر تمده بالطاقة الإيحائية وترسم له المشاهد الخلابة من متعة النفس والاستمتاع والالتذاذ وترويض القوانين الكونية الجامحة التي يعجز الإنسان في التغلب عليها وإخضاعها لرغباته، فهو لا يتوقف على الصياغة اللفظية والتفكير المنطقي، فجاءت الفلسفة العربية القديمة تنظر في الحواس وتربط بين الخيال، وما يؤدي إليه الواقع من صور حسية وما ينتجه هذا الترابط في التأثير على المتلقي(١).

وفي بحثنا هذا ندرس الشاعر العباسي مطيع بن إياس في ضوء الصورة الشعرية عنده وبنائها من حيث تصويره الصادق لمشاعره وحالته النفسية عبر دراسة نصوصه الشعرية وتحديد أنواعها وبعدها الجمالي.

اسمه، نسبه، كنيته

هو مطيع بن إياس الكناني من بني الدئل بن بكر بن عبد بناة كنانة، كنيته أبو سلمى، ولد ونشأ في الكوفة – وكان ظريفاً جميل الصورة حسن الوجه، وقد مات بعد تولي الهادي الخلافة ١٦٩هـ بثلاثة أشهر ولم يعقب ذكورا إلا أنه ترك ابنة كان لها نسل بجبل في قرية يقال لها الفراشية .(٢)

أنواع الصورة الشعرية في شعر مطيع بن إياس.

أولاً: التشبيه: اكثر الصور وأقربها وأيسرها لدى الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي، والتشبيه ((هو الجمع بين شيئين بينهما علاقة معينة، وهذا الأسلوب البياني يتكون من مشبه ومشبه به وهما طرفا التشبيه ثم من اداة التشبيه ووجه الشبه)) (٣) يحاول أن يرسم به الشاعر لوحته ليعرض لنا الجميل والممتع من الصورة التشبيهية . ومن أمثلة ذلك قال مطيع متغزلا (٤):

---

(١) الصورة الشعرية عند خليل حاوي، هدية جمعة البيطار، دار الكتب الوطنية ابو ظبي، (د.ط) (د.ت): ٢٤.

(٢) ينظر شعراء عباسيون مطيع بن اياس، سلم الخاسر، ابو الشمقمق دراسات ونصوص شعريه غوستان فون غربناوم ترجماتها واعاد تحقيقها الدكتور محمد يوسف نجم راجعها الدكتور احسان عباس منشورات دار مكتبه الحياة، بيروت ١٩٥٩م: ١٥ – ٢١.

(٣) الصناعتين: ٢٦٨.

(٤) شعراء عباسيون: ٤٢.

لقد أحببتُ جهدَ الحُبَّ ذات الـــخـــالِ والـــعِـــقدِ

وأحلىٰ بعد غَـــبَّ الـــنَّـــو مـــِ مطروقًا من الشّهدِ

غـــزالٌ أحـــورُ الـــعـــينِ لهُ خـــالٌ عـــلـــى الـــخَـــدَّ

كأن البدَر ذاك الـــخـــا ـــلُ وافى ليلةَ الـــســـعـــــدِ

تبدو الأفكار متداخلة في تركيبه للصورة، ففكرة الحب تنبثق من الافراط والغلو والتعلق بالمحبوبـــة فهـــو يصفها بجميل الصفات وعديد من التشبيهات التي تفضي إلى الصورة البلاغية بوجه خاص من اشـــتمالها على المعنى واللون والصوت والحركة والهيئة مع ميلها إلى البساطة في التراكيب اللغوية وعدم التعقيد في المعاني بالقليل من الألفاظ إذ إن ((الصورة في أبسط وصف لها تعبير عن حالة أو حدث بأجزائهمـــا أو مظاهرهما المحسوسة، فهي لوحة مؤلفة أو مقطوعة من كلمات ومقطوعة وصفية في الظاهر لكنها فـــي التعبير الشعري توحي بأكثر من المظاهر، وقيمتها ترتكز على طاقتها الإيحائية فهي ذات جمال تســـتمده من اجتماع الخطوط والألوان والحركة ونحو ذلك من عناصر حسية وهي ذات قوة ايحانية تفـــوق قـــوة الإيقاع لأنها توحي بالفكرة كما توحي بالعاطفة)) [١] فجاءت الصورتان متلازمتان صورة الغزال، وهـــو تشبيه بليغ – وصورة الخال كأنه البدر، فهما صورتان تكمل إحداهما الأخرى، ليخـــرج المشـــيه بـــأبهى صورة وأحلى وصفٍ..

والصورة الذهنية هي نتاج الصور الشعرية سواء انطلقت من الرمز أو المجاز أو من المحسوس، وهي متعلقة بالمبدع والقارئ معا، فالمبدع من جهة المحاكاة والقارئ من جهة التخييل فهما مرتبطان معا في الابداع الفني والصورة المتولدة نتيجة الاستجابة من جودة بيان الطرف الأول والاستيعاب والفهم مـــن الطرف الثاني [٢] .

(١) التمويل في النقد الحديث، روز غريب مطبعه دار غندوره بيروت ط ١٩٧١، ١م، ١٩٠.

(٢) ينظر المتخيل الشعري، محمد صابر عبيد، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، ط ٢٠٠٠٠، ١ م: ١٥٤ .

وهذا ما يزيد النص حلاوة فتستمتع النفس، ويزيد السامع بهجة، ونجد مثل ذلك في وصف مطيع لمجلس غناء وخمر ببغداد، قائلاً: (١)

ويومٍ ببغدادٍ نعمنا صباحَهُ على وجه حوراءِ المدامعُ تُطرَبُ

ببيتٍ ترىٰ فيه الزُجاجَ كأنهُ نجومُ الدُجىٰ بين النَدامى تَقَلَّبُ

يُصَرِّفُ ساقينا ويَقطِبُ تارةً فيا طيبها مقطوبةً حينَ يُقطِبُ

علينا سحيق الزعفرانِ وفوقنا أكاليلُ فيها الياسمينُ الُمذَهَّبُ

فما زلتُ أسقي بين صنبحِ ومِزهَرٍ من الراحِ حتّىٰ كادت الشمسُ تغرُبُ .

ينم هذا النص عن الأسلوب الشعري الخاص لدى الشاعر فقد استطاع الموازنة بين اللغة الحقيقية واللغة الشعرية المجازية، غير أن مهاد الفكرة يتطلب الإخبار بلغة حقيقية غير مجازية وفق أفكارٍ ليست استنساخا للواقع، بل تشكلت انطلاقاً مما تمتلئ به ذاكرة الشاعر من صور، فالصورة ((لا تكتفي بمجرد التنفيس – بل تحاول عامدة أن تنقل الانفعال إلىٰ الآخرين وتثير فيهم نظير ما أثارته تجربة الشاعر فيه من عاطفة)) (٢) إذ بدت الأفكار متداخلة في تركيبها للصورة التشبيهية،فجاءت الصورة تركيباً لغويا من أجل تصوير المعنى بالاعتماد على علاقة التشابه والاختلاف بين شئين باستخدام معطيات مختلفة وفق خيال الفنان والأديب.

فجاءت صورة المجلس مجازاً فقد حذف الشاعر لفظة المكان وأبقى الزمان دليلاً عليه فضلا" عن صورة المغنية (حوراء المدامع) بتشبيه بليغ التي عززت صورة المجلس وزادته جمالاً، وطربا – ثم ينتقل بنا الشاعر إلى تشبيه آخر بصورة مركبة بالأداة (كأن) عامداً بها تشبيها بين طرفين (بيت من زجاج) (نجوم الدجى تتقلب).

(١) شعراء عباسيون ٣٧.

(٢) في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط، (د.ت): ١٥١.

فضلاً عن الحركة مع هذه النجوم التي زادت اللوحة معنى وخيالا، لتأتي معنا الصورة الشعرية الثالثة في وصف الخمرة وصورتها (علينا سحيق الزعفران، فوقنا أكاليل ثم الياسمين المذهب في صورة بصرية فائقة الجمال، ثم أدوات الموسيقى والطرب والغناء) كل ذلك لينقلنا إلى عالم خيالي من اللهو والطرب.

ومما قاله في مغنية: [١]

إن قلبي قد تصابى بعدَ ما كانَ أنابا

ورماهُ الحُبُّ منِهُ بسهامٍ، فأصابا

قد دهاهُ شادِنُ يلـ ـبَسُ في الجيد سِخابا

فهو بدرٌ في نِقابٍ فإذا ألقىٰ النقابا

قُلتَ شمسٌ يومَ دَجنٍ حَسَرت عنها السَحابا

هذه الصور المكثفة دليل على ثقافة الشاعر ومعرفة بمفرداته إذ إنه جاء بمجموعة من التشبيهات ليظهر جمال المقابل ويومئ إليه، ويترك للقارئ مهمة البحث عن التفاصيل المكملة للمعنى (فهو بدرٌ في نقاب) (وهو شمس يوم دجن).

على وفق التلاعب بالألوان وتمازجها جنبًا إلىٰ جنب إذ جاءت الصورة الفنية هنا هي الجوهر ذاته، بما تمتلكه من قيمة عاطفية ووصفية ومعرفية إذ إن((الصورة طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير – ولكن أياً كانت هذه الخصوصية أو ذلك التأثير، فإن الصورة لا تغير من طبيعة المعنى في ذاته، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمة)) [٢] فإذا أجاد الشاعر طريقة العرض بفنية عالية أدركنا قيمة الجهد والصورة التي تؤثر في المتلقي وتتركه مشدودًا اليها.

(١) شعراء عباسيون ٣٢.

(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي عند العرب جابر عصفور ٣٩٢.

ومثل ذلك ما قاله في الصداقة:[١]

أزورُ أخـــي فـــي رحـــلـــهِ ويـــزورنـــي ... مـــلاطـــفـــةً منا وحُـــســـن وصـــالِ

ونـــطـــرحُ فـــيـــما بيـــننا حشمـــةَ الألـــى ... تـــعـــاطـــوا ودادًا لايـــنـــمُ بـــحـــالِ

فيأكلُ من أكـــلـــي ويـــشـــربُ مشـــرَبـــي ... ويسعـــى بسعـــي ناصرًا ويوالي

فـــروحـــي له روحٌ ومـــهجـــةُ نفـــســـهِ ... كمهجة نفسي في جمـــيعِ خـــلالِ

إن علاقة الصورة الشعرية الفنية بالأفكار تعني قدرة الشاعر على تقديم ((كل صورة من الصور نفسها في شكل بلاغي تختاره لتحقيق وظيفتها في التعبير عن المعنى أو الايحاء بالانفعال والفكر الداخلي للصورة))[٢] فقد جاء الشكل البلاغي في التشبيهات التي اختارها الشاعر وعقد وجه التشابه بينه وبين صاحبه وصديقه وكأنهما نفس واحدة عن طريق عدة دلالات ساقتها المعاني المطروحة في ألفاظ النص الشعري، فهما سوية .. في الزيارة والعشرةِ (أزور – يزور – نطرح – تعاطوا ودادًا، يأكل – آكل – يشرب – أشرب يسعى بسعيي، النصر والموالاة)) في الأبيات الثلاثة الأولى، ليصل إلىٰ إكمال الصورة (فروحي له روح) (ومهجة نفسه كمهجة نفسي) التي جعلت من النص الشعري محققاً وظيفته في التعبير عن المعنى المطلوب إيصاله إلى المتلقي.

ومثل ذلك قوله متغزلاً: [٣]

لمَّا خَرَّجِنّ من الرصّا ... ـفَة كالتمـاثـيـل الـحِسـانِ

يَحْفُفْنَ أحْوَرَ كالـغـزا ... لـ يميسُ فـي جَدَلِ العـنانِ

قَطّعْنَ قـلبيَّ حَـسْـرَةٍ ... وتُـقسِـمّـا بَيـنَ الأمـانـي

---

(١) شعراء عباسيون: ٦٣.

(٢) الصورة الفنية في شعر أبي تمام د. عبد القادر الرباعي، منشورات جامعة اليرموك أربد الأردن، ط١، ١٩٨٠ م: ١٦١.

(٣) شعراء عباسيون ٧١.

ويلي عــلى تلكَ الشّــمّا ئل واللطــيــفَ من الــمعاني

يــا طــول حُــرَّ صبابتي بين الــغــواني والــقَــيــانِ

جاء التشبيه في هذا النص بتصوير المعاني وإدراكها، فالتشبيه ((يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيداً)) [١] وإن هذه التشبيهات الملفتة للنظر تجعل المتلقي يصنع موازنة ويرسم لوحة في خياله كالتماثيل، كالغزال، الشمائل، اللطيف من المعاني، ليصل الى اللوحة التي أتمها النداء (ياطول حرّ صبابتي) ليظهر لنا المعاناة التي يكابدها واللوعة والأسى التي حلت به، ويمكن أن نلحظ الصورة الفنية عن طريق الموسيقى والتناغم أيضًا الذي حصل بين صدر البيت وعجزه علىٰ طول النص الشعري، فقد اتسمت الالفاظ بالوجازة في التعبير واختيار ما يناسبها من معاني تلائم الموقف والحالة النفسية للشاعر إذ ((إن الألفاظ أرواح، ووظيفة التعبير الجيد أن يطلق هذه الأرواح في جوها الملائم لطبيعتها، فتستطيع الايحاء الكامل والتعبير المثير)) [٢] فجاءت الألفاظ مرتبطة بتجربة الشاعر وفق واقع طبيعي محسوس أو ربما واقع نفسي ومعنوي مدرك، منبعثا من معالم الصورة التشبيهية.

ومن قوله مادحاً الغمر بن يزيد:[٣]

واذا الأمور تَــفَــاقَمتْ عَــظْــمَاً فَــصِدّرْهــا برائِهِ

وإذا أردت مــديــحــه كم يكدِ قولُــكَ فــي ثــنــائِهِ

في وَجْهِهِ عَلَم الهُدىٰ والمَجْدِ في عِطْفَيْ ردائه

وكأنمَا البدْر الــمني ــر مُــشــبّه بــه فــي ضيائِهِ

(١) كتاب الصناعتين للكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن أحمد بن عبد الله العسكري، تحقيق البجاوي، وابو الفضل إبراهيم ط١، القاهرة، البابي الحلبي، ١٩٥٢ م: ٢٤٣.

(٢) النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، سد قطب بيروت (د.ت) (د.ط): ٨٣.

(٣) شعراء عباسيون: ٣١

في النص الشعري تتظافر صورتان وتعمل على خلق صورة متكاملة دالة على تفنن الشاعر وثقافته العالية، فالصورة ((وسيلة الشاعر في محاولته اخراج ما بقلبه وعقله اولاً وايصاله الى غيره ثانياً))[١] فهي تحمل مقتضيات العلم ومقومات الانسان من القيم الأخلاقية والجمالية، إذ إنه في هذا المدح خلق صورة رائعة لممدوحه عن طريق التشبيهات المتتالية والألفاظ المختارة لهذا الغرض، فهو المتصدر برأيه، الصائب، الذي يحل عظيمات الأمور وصعابها، فهو علم الهدى، ومنبع الأصل والجود، شبيه البدر المنير، فجاءت الصورة الفنية وسيلة لنقل المعاني وتمكينها في ذهن المتلقي، وتحويل أفكار وخيال الشاعر بما ساقه من عبارات وجمل الى قطعة موسيقية متناغمة تبين صفات الممدوح وشمائله، ويعد الخيال عنصرًا مهماً من عناصر الصورة في فكر مطيع بن إياس فالخيال هو((ما يثبت فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلاً،ويدعي دعوى لا طريق الى تحصيلها، ويقول قولاً قد يخدع نفسه ويريها مالا ترى)) [٢] إذ إنه عنصر من عناصر البناء الشعري، وبذلك تكون((الصورة هي أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامة التي يمارس بها، ومن خلالها فعاليته ونشاطه)) [٣].

ولذلك فإن الخيال يتمثل في قدرة الشاعر على توليد صور تثير ادراك المتلقي وخياله،ومن ذلك قول الشاعر في وصف فتاة جميلة: [٤]

إكليلُها ألوانٍ ووجّهها فتّانٌ

وخالَها فريدٌ ليس له جيرانٌ

إذا مشَتْ تثنتْ كأنهّا ثُعبان

قَدْ جَدِلَتْ فجاءت كأنّها عَنَانٌ

---

(١) الصورة الفنية في شعر أبي تمام عبد القادر الرباعي، منشورات جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي، اربد الاردن، ط ١، ١٩٨٠م، ١٨.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب: ١١٦.

(٣) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغ عند العرب جابر عصفور، المركز الثقافي العربي – بيروت، ط، ١٩٩٩ م: ١٤.

(٤) شعراء عباسيون: ٧٠.

جاءت اللغة متمثلة في حسن اختيار الالفاظ التي تعبر وتعكس التجربة الوجدانية وتقدم الواقع بأجمل صورة وفق خيال الشاعر الفنان الذي أبدع من خلال تشبيهاته في هذا الوصف فقام بتعزيز الصورة بما خلق من مماثلة واشتراك في الدلالة على المعنى وتقويمه عن طريق تشبيه الصورة الذي جاء فيه وجه الشبه منتزع من عدة أوصاف متمازجة في كيان واحد فقد تعددت التشبيهات اللائقة عن جمال الفتاة معبرا بها الشاعر عن مشاعره وأحاسيسه تجاهها، إذ يظهر دور الخيال بارزاً في تشبيهات الشاعر، من حيث الألوان، والهيأة، والحركة التي أعطت الصورة مشهدا تصويراً بيانياً وفنياً متكاملاً.

ثانياً: الاستعارة

من أهم الفنون البيانية التي تظهر جودة الصورة وهي ((أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلىٰ اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه)) [١] ومن جميل استعاراته ما قاله في هجاء احد اصدقائه ويدعىٰ عباسًا: [٢]

قُل لعباسٍ آخينا يا ثقيلَ الثقلاءِ

أنتَ في الصيفِ سَمَومُ وجليدٌ في الشتاءِ

أنتَ في الأرضِ ثقيلٌ وثقيلٌ في السماءِ.

فهذه الصورة حققت فنيتها وجاءت ضمن سياق دلالي للقصيدة إذ إنه لا توجد صورة شعرية سائبة لكنها ممسوكة بقوة السياق النصي وفق خزين الفكرة الشعرية للشاعر، فجاءت المزاوجة بين الفكرة والصورة ليتضح للقارئ الغرض والهدف من القصيدة وهو هجاء من يدعى عباساً، وفق تشبيه بليغ (أنت سموم) (أنت جليد) (أنت ثقيل) ففي هذه الألفاظ المستعارة من قبل المشبه به ابتكار للمعاني وعمق في الخيال، فكانت استعارة مكنيه حذف فيها المشبه به وبقيت إحدى لوازمه الصورة الفنية ((أسلوب يجعل الفكر يظهر بكيفية أكثر شمولاً ويمنح الشيء الموصوف استعارات من أشياء أخرى تشكل مع الشيء

(١) الصناعتين – الكتابة والشعر: لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي محمد أبو فضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، وشركاه ١٣٠.

(٢) شعراء عباسيون ٣٠.

الموصوف علاقات التشابه والتقارب)) [١] فتأتي الصورة بمزايا لتقوية المعنى وتجسيده ممزوجًا بمشاعر الشاعر واسلوبه من أجل التأثير في القارئ والمتلقي.

وكانت الاستعارة هنا بالصورة القوية التي تتجاوز بالعقل معناها الحرفي إلى معان أخرى مجازية مع حيلة فنية في التعبير منحت النص الشعري سمة التعبيرية الأدبية فضلاً عن إسباغ الصفات المستعارة للمقابل وتوظيف الألفاظ والتراكيب والجمل الاسمية لخدمة هذا النص ودلالته.

ومثل ذلك ما قاله يتشوق الى جوهر: [٢]

لا تُبعدي يا جوهرُ عنّا وأن شط المزارُ

ويلي لقد بَعُدت ديا رُكِ سُلّمَت تلكَ الديارُ

يشفى بريقَتِها السَقا مُ كأنَّ ريقتها العُقارُ

بيضاء واضحِةُ الجبيـ نِ كأن غُرّتَها نهارُ

القلبُ قلبيَ وهو عنِـ ـدَ الهاشميّةِ مُستَعارُ

ففي البيت الأول (نداء) (يا جوهر) مبتدئاً التصوير باستدعاء النداء، فقد اختصر الشاعر المشهد في صورة واضحة منذ بداية النص ثم تبدأ حالة انسجاميه متصاعدة في الأبيات الأخرى المتتابعة في وصف حاله وعنائه من بُعد المحبوبة وبُعد ديارها إذ إنه يندب (ويلي) المحملة بالإحساس الصادق، المنبثق من كوامن الشاعر وهذا الاحساس هو الذي يستوطن الصورة ويجعلها قادرة على جذب الادراك والتأثير

وينتقل بنا الشاعر إلى مشهد وتصوير آخر في إيضاح صفات المحبوبة وتشبيهها بالنهار واستعارة الصفات (بيضاء) (واضحة الجبين) وعدم إظهار المشبه به والتصريح به فهي استعارة مكنية، تقترن فيها الصورة الفنية بالمبالغة، وهذا هو الهدف الأساس من المجاز، لينقل مسامعنا إلى جو نفسي وعالم آخر من الخيال.

---

(١) الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الغنية محد ناصر دار الغرب الإسلامي بيروت ط ١، ١٩٨٥م، ٤٢٢

(٢) شعراء عباسيون ٥٢.

وما هذه الصورة الاستعارية إلا تعبير عن عاطفة الشاعر الصادقة وهي تجمع بين رقص مشاعر الكلمات وبوحها المعلن وفق بُعد نفسي عرضه الشاعر في معرض الشكوى والحب واللوعة، والاستعارات الجميلة المعبرة عن دفق العاطفة.

وفي تكرار حرف القاف عدة مرات في هذا النص تكونت مجموعة أصوات متوالية ساعدت في إبراز الصورة التي أراد الشاعر ايصالها فإن ((لتكرير الحرف في الكلمات مزية سمعية ترجع إلىٰ الموسيقى وأخرى فكرية تعود إلى المعنى)) [١] مع العاطفة التي ارتكزت على ما اعتمل في نفس الشاعر من أحاسيس ومشاعر فجاءت الاستعارات داعمة للصورة فقد استعار الشاعر لفظة (غرتها) وجعلها في جبين المحبوبة علامة ناصعة، في حين استعار لفظة العقار وجعل في ريقها الشفاء فكانت فكرة الصورة فيها مبالغة من أجل أغراض يريدها الشاعر ويرجوها، فكانت الاستعارة هنا أعمق من التشبيه، لما حوته من بلاغة وبيان دلتا على الغرض.

ومن تقابل صورتين بين شطري البيت في قول شاعرنا: [٢]

إنّ ممّا يَزيدُني فيك زُهْداً انني لا اراكَ تصدُقُ حَرْفا

لا ولا تكتم الحديثَ ولا تذ طَقْ جِدّاً ولا تمازُحُ ظَرْفا

واذا مُنْصِفَ ارادك للنصـ ـف اِبْيَتِ الوفاءَ و آزددت خَلْفا

واذا قال عارفاً قال سُوءًا واذا قال مُنكِرًا قُلْتُ عُرْفا

لقد هيمن على هذا النص صورتان لتقابل متخالف متضاد (إذا قال عارفًا قال سوءا) (وإذا قال منكراً قلت عرفا) مطرزاً بلون بديعي يجذب انتباه المتلقي في محاولة من قبل الشاعر لتوظيف الألفاظ على وفق مقتضاها المعنوي واللفظي المتخالف، وعلى حسن صياغة ودقة في اختيار المعاني وسبكها في تراكيب ملائمة لغرض النص ومنحها الاهتمام بالألفاظ والمعاني وإظهار المقدرة اللغوية في استنباط المعاني

(١) التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين على السيد، بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٦م.

(٢) شعراء عباسيون: ٦١.

الدقيقة والمتأمل لهذا النص يجد حلاوة في النغم متولدة من التقابل المتخالف فضلاً عن ايقاع القافية الــذي جعل النص ذا قيمة فنية عالية فضلاً عما أحدثه التقابل من ((صور ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيمــا بينها عقل القارئ ووجدانه فيتبين ما هو حسن منها ويفصله عن ضده)) [١]فضلا عن الاستعارات التــي اعتمدها الشاعر في تركيز الصورة لهذه الأبيات وإثارة وجدان المتلقي.

ومن قوله يبكي الشباب في قصيدة معبرة: [٢]

قــارعَهُ عــنــيُّ الــزّمــان فَــقَــدْ ... صُرتُ لَه في الأذى وفي التّعَــبِ

ويْــحَــكَ يــا دهرُ كيفَ جئتُ بما ... أكــره جَــهْــداً عــلــيّ مــن كُــتُــبِ

شوّهَــتْني بَــعــدَ مــنــظــرِ حُــسْــنِ ... كــأن فــيــه ســبائِــكَ الــذّهــبِ

قــلــبْــتَ لــونــي الــى السواد وقَــدْ ... بيّضتَ راسي فــصــارَ كالحُطُبِ

ما زلت ترمي مُخّــي فتــرهــقــه ... وتنتخي بالفُــتُــورِ فــي عَــصَــبي

حــتّــى كــأنــي ولــم أُقــم لِــغِــبٍ ... وكــنــتِ أعــلــو الــذّرى بلا لَــغَــبِ

تبدو الصورة التي بثها الشاعر في نصه صورة تشبيهية وأخرى استعارية محملة بهموم متراكمة تتــزاحم عليه فتؤلمه وتوجعه، معاتباً الدهر بقسوة (ويحك).

وكيف أنه غير من شكله وهيأته بعدما كان بعنفوانه وشموخه وقد ربط الشاعر أفكــاره منطلقــاً باهتمامه بالبلاغة ومدللاً على قدرته في التعبير عن مشاعره وأفكاره وعقد مقارنة بين زمنــين احــدهما بالأسود والآخر بالأبيض وما بينهما من تقلبات وتغير حال.

وفي استعارة لفظة (ويحك) في خطابه للدهر تعميقاً للصورة المجازية وعكسا لتداعيات الوجــدان والعواطف من جهة نفسه والمتأملة من جهة اخرى.

---

(١) البلاغة والتطبيق، الدكتور أحمد مطلوب والدكتور كامل حسن البصير، ط١، بغداد، ١٩٨٢م، ٤٤٣

(٢) شعراء عباسيون: ٣٤.

وبهذا فالصورة الشعرية هي صورة فنية تعمل على تشكيل النص الشعري الذي يتكون من العناصر التي ترتبط بعلاقات ذاتية وموضوعية تصب في خدمة النص وفق طريقة التعبير التي تليق بالشاعر والمتلقي والتي تعتمد على قوة الاسلوب وحسن العبارة وبلاغتها مع مراعاة قوالب الجمال والإحساس فالصورة هي الجانب الأهم من جوانب الشعر والطريقة الخاصة من طرائق التعبير وهي وجه من أوجه الدلالة.

الخاتمة

– مطيع بن إياس شاعر عباسي اشتهر بجودة صوره وحسن تشبيهه فظهرت مواطن الجمال بارزة في شعره إذ ركزت هذه الدراسة على استعراض بعض عناصر تشكيل الصورة الشعرية التي تمثل البناء اللغوي العام في النص الشعري، وقد ظهرت جماليات الصورة الشعرية على مستويات اللغة كافة عند الشاعر.

– حاول الشاعر إثارة دهشة المتلقي عن طريق الفكرة والمعنى والصورة الموحية فقد جاءت أغلب النصوص الشعرية للشاعر مطيع بن إياس وفق تحليل دقيق لبعض مظاهر جماليات الصورة الشعرية التي ترقى بالنص الى فضاءات فسيحة بعيدة عن اللغة المعيارية.

– جاءت علاقة الصورة بالأفكار حسب ما يشكله الحدث الثقافي عند الشاعر – إذ حاول الشاعر في نصوصه أن يدلل على قدرته في التعبير عن مشاعره وأفكاره بطريقة مختلفة من الصورة البلاغية المتعددة، وتوضئ السهولة في ألفاظه من جهة والتعمق في المعاني من جهة اخرى، إذ كانت الاستعارات والتشبيهات كلها تصب في خدمة الصورة الشعرية، ومحاولة ايصال الفكرة الى المتلقي.

المصادر و المراجع

- البلاغة والتطبيق، الدكتور احمد مطلوب والدكتور كامل حسن البصير ط ١ / بغداد ١٩٨٢.

- التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد – بيروت عالم الكتب ط ٢ – ١٩٨٦ .

- التمهيد في النقد الحديث، روز غريب، مطبعة دار غندورة – بيروت، ط ١٩٧١ – ١م .

- الحيوان، أبو عمر بن بحر الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون مكتبة مصطفى البابي الحلبي مصر ١٩٦٦م.

- دلائل الإعجاز للأمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط) (د. ت).

- شعراء عباسيون، مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقق، دراسات ونصوص شعرية،غوستاف فون غرنباوم، ترجمها وأعاد تحقيقها الدكتور حمد يوسف نجم، راجعها الدكتور إحسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩م .

- الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية محمد ناصر دار الغرب الإسلامي، بيروت ط ١، ١٩٨٥م .

- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مصطفى عبد اللطيف السحرتي مطبعة المقتضف (د. ط) ١٩٨٤م .

- الصورة الشعرية عند خليل حاوي، هدية جمعة البيطار، دار الكتب الوطنية أبو ظبي، (د.ط) (د. ت).

- الصورة الفنية في شعر أبي تمام،عبد القادر الرباعي، منشورات جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي، اربد، الاردن، ط١، ١٩٨٠م .

- الصورة الفية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٣ – ١٩٩٩ .

- الصورة في الشعر العربي حتى اخر القرن الثاني دراسة في أصولها وتطورهـا علـي البطـل، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط ١،١٩٨٠.

- في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٦، (د. ت).

- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر أبوهلال الحسن بن احمد بن عبد الله العسكري تحقيق البجاوي، ابـو الفضل ابراهيم،ط١، القاهرة، البابي الحلبي،١٩٥٢.

- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ٠١٩٨٦

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبـي الحسـن حـازم القرطـاجني، تحقيـق محمـد الحبيـب بـن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١٨.

- المتخيل الشعري، محمد صابر عبيد، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، ط ١،٢٠٠٠ .

- النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، سيد قطب، بيروت، (د. ط) (د.ت).

- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٧٧ م.

references

- Abbasid Poets, Mutee' ibn Iyas, Sallam al-Khasir, Abu al-Shamqaq, Poetic Studies and Texts, Gustav von Grunbaum, translated and re-verified by Dr. Hamad Youssef Najm, reviewed by Dr. Ihsan Abbas, Dar Maktabat al-Hayat Publications, Beirut, 1959 AD.

- Evidence of the Miracle of Imam Abu Bakr Abdul Qaher bin Abdul Rahman bin Muhammad Al-Jurjani Al-Nahwi, read and commented on by Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Khanji Library, Cairo, (n.d.) (n.d.).

- In Literary Criticism, Shawqi Dayf, Dar Al-Maaref, Cairo, 6th ed., (n.d.).

- Lisan al-Arab, Ibn Manzur, Dar Sadir, Beirut, 1986.

- Literary criticism, its principles and methods, Sayyid Qutb, Beirut, (Dr. I) (D. T).

- Repetition between Stimulus and Influence, Ezz El-Din Ali El-Sayed - Beirut, Alam El-Kotob, 2nd ed. - 1986.

- Rhetoric and Application, Dr. Ahmed Matloub and Dr. Kamel Hassan Al-Basir, 1st ed., Baghdad, 1982.

- The Animal, Abu Omar Ibn Bahr Al-Jahiz, edited by Abdul Salam Haroun, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library, Egypt, 1966 AD.

- The Artistic Image in Abu Tammam's Poetry, Abdul Qader Al-Rubai'i, Yarmouk University Publications, Deanship of Scientific Research, Irbid, Jordan, 1st ed., 1980 AD.

- The Book of the Two Crafts, for writing and poetry by Abu Hilal al-Hasan bin Ahmad bin Abdullah al-Askari, edited by al-Bajawi, Abu al-Fadl Ibrahim, 1st ed., Cairo, al-Babi al-Halabi, 1952.

- The image in Arabic poetry until the end of the second century, a study of its origins and development, by Ali Al-Batal, Dar Al-Andalus for Printing, Publishing and Distribution, Baghdad, 1st ed., 1980.

- The Millennium Image in the Critical and Rhetorical Heritage of the Arabs, Jaber Asfour, Arab Cultural Center, Beirut, 3rd ed. - 1999.

- The Music of Poetry, Ayyad Shukri, Dar Al-Ma'rifa, 1st ed. 1986.

- The Path of Eloquent People and the Lamp of Men of Letters, by Abu al-Hasan Hazim al-Qartajani, edited by Muhammad al-Habib bin al-Khawja, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 18th ed.

- Contemporary Poetry in the Light of Modern Criticism, Mustafa Abdel Latif Al-Saharti, Al-Muqtadif Press (n.d.) 1984 AD.

- Dictionary of Rhetorical Terms and Their Development, Ahmed Matloub.

- Introduction to Modern Criticism, Rose Gharib, Dar Ghandoura Press - Beirut, 1st ed. 1971.

- Modern Algerian Poetry, Its Trends and Artistic Characteristics, Muhammad Nasser, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, 1st ed., 1985 AD.

Modern Literary Criticism, Muhammad Aimi Hilal, Dar Al Nahda, Egypt for Printing and Publishing - Cairo, 1977 AD.

- The Poetic Image in Khalil Hawi's Poetry, by Jumaa Al-Baytar, National Library, Abu Dhabi, (n.d.) (n.d.).

- The Poetic Imagination, Muhammad Sabir Ubaid, General Union of Writers and Authors in Iraq, 1st ed., 2000.